شيء واحد

بقلم هاملتون سميث

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نشر أو إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو الكترونية بهدف بيعها أو المتاجرة بها أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن من الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي، كما يمكنك أن تنسخها لأجل توزيعها مجاناً لتعم الفائدة.

مقدمة

أمامنا ثلاثة شواهد من كلمة الله، ذات اتجاهات متنوعة. ففي النص الأول نتعلّم أن "شيئاً واحداً" كان ينقص الشاب الغني، وفي النص الثاني نتعلّم من قصة مرثا ومريم أن هذا "الشيء الواحد"- الذي نقص الغني كانت مرثا في حاجة إليه، وفي النص الثالث، نجد أيضاً أن هذا "الشيء الواحد" الذي احتاجت إليه مرثا، كان يميز حياة الرسول بولس.

ترون إذاً، أن ما كان يُشدد عليه ربنا يسوع وهو "الشيء الواحد"، هو بعينه ما نحتاج إليه بكل تأكيد، فلنفحص قلوبنا في ضوء كلمات الوحي التي أمامنا، مع لزوم توفر الرغبة الحارة أن نكون متصفين بهذا "الشيء الواحد".

١-"يعوزك شيء واحد

(مرقس١٠: ١٧-٢٢)

في قصة الرجل الغني نستخلص حقين أساسيين جديرين بالتعلم: أولهما- حاجاتنا إلى "الشيء الواحد" فربما تكون حياتنا ممتازة ومثالية، ولكن ينقصها "شيئاً واحداً". وثانيهما أن هذا "الشيء الواحد" الذي نكتشفه هو القلب الواحد المكرس للمسيح.

وإذا تطلعنا إلى أولئك الأشخاص الذين كانوا على علاقة مع ربنا يسوع، في حياته على الأرض، فإننا لا نجد نهاية أشد أسفاً مثل نهاية ذلك الشاب الغني. ويبدو لنا من بداية القصة أنه كان ينتظره مستقبل باهر مشرق كتلميذ للمسيح. ولكننا نقرأ في النهاية أنه "مضى حزيناً". ولا نجد له أثراً بعد ذلك، في الروايات الإنجيلية- لا في صحبة المسيح، ولا في صحبة تلاميذه. فإذا كان لمؤمن مثل هذا القلب، ويتجنب بركة صحبة المسيح في وسط شعبه، فإنه يفشل كشاهد للمسيح في هذا العالم.

لقد تميز ذلك الشاب بصفات إنسانية كثيرة، كما تَحلّى بجمال خلقي بديع، إذ كان شاباً جاداً، فنقرأ أنه "ركض" مسرعاً نحو الرب. كما اتصف بالتوقير لأنه "جثا" في محضره. وأيضاً كانت له رغبة في نوال البركات الروحية مثل الحياة الأبدية. كانت حياته الخارجية بلا لوم، كما حفظ الناموس منذ حداثته- وإن كانت نظرته للناموس قد اتسمت بالسطحية. كل هذه الصفات جميلة وجذابة، وفي مكانها. ولقد قَدّر الرب فيه هذه المميزات، إذ نقرأ: فنظر إليه يسوع وأحبه. نعم ومع وجود كل هذه الإمتيازات، فلقد كشف الرب "شيئاً واحداً" كان ينقصه.

ولكي يُظهر الرب هذا "الشيء الواحد" الذي كان ينقصه، لذلك وضع أمامه ثلاثة اختبارات. وهكذا كان الحال معنا أيضاً. فلربما تكون حياتنا الخارجية بلا لوم. ولكن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

شهادتنا للمسيح فسدت لأنه كان يعوزنا "الشيء الواحد". فمن النافع لنا أن نختبر أنفسنا في هذه الامتحانات الثلاثة والتي وضعها الرب أمام ذلك الشاب. وهي:

الامتحان الأول: في الممتلكات الأرضية.

الامتحان الثاني: في الصليب.

الامتحان الثالث: في شخص المسيح المرفوض.

لقد سُئِل الشاب في شيء يعطيه، وشيء يحمله، وشخص يتبعه.

ففي الامتحان الأول الذي تَضمّن الممتلكات الأرضية. وفي معناها الواسع تشمل كل المزايا التي نستفيد بها كعائشين في العالم. وهنا نسأل هل رأينا كل هذه الأشياء في نور المسيح وحسبناها خسارة لأجل المسيح؟ هل من أهمية لهذه الأشياء مثل النشأة والتربية، وما يؤّمنه الغني من سهولة ومسرات عالمية. وقيمة المركز والشرف، واعتبارات الذكاء والعبقرية المطلوبة لتحقيق الإنجازات السريعة؟ إننا لا نقلل من قيمة هذه الأشياء، ولكن إذا نظرنا إليها كلها في وجه يسوع- ذلك الشخص الذي كُلّه حلاوة- فإذا هو بلا مقارنة أعظم من هذه الأشياء جميعها!! ولا شك فإن تأثير عواطف المسيح فينا يجعلنا ننحاز إلى المسيح ونختاره كالغرض الأسمى لحياتنا دون هذه الأشياء جميعها.

والامتحان الثاني هو الصليب: قال الرب للشاب "احمل الصليب". فهل نحن مستعدون أن نقبل مكاننا الذي وضعنا فيه الصليب من نحو الله ومن نحو العالم؟ يقول الرسول: "حاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح، الذي به قد صُلب العالم لي، وأنا للعالم، (غلاطية٦: ١٤). فالصليب يقف بيننا وبين خطايانا، وبيننا وبين الإنسان العتيق، وبيننا وبين الدينونة. ولكن هل نرى الصليب أيضاً يقف بيننا وبين العالم؟. فإذا حملنا الصليب، فإننا لا نرى فقط العالم مُداناً، بل نصبح نحن أيضاً مرفوضين منه.

والامتحان الثالث- هو المسيح المرفوض: قال الرب للشاب "اتبعني". فهل نحن مستعدون أن نربط أنفسنا بذلك الشخص المكروه والمرفوض من العالم. ذاك الذي وُلد في مزود، وفي أثناء عبوره في هذا العالم، لم يكن له أين يسند رأسه. الذي مات ميتة مذلة على الصليب العار، ودُفن في قبر مستعار. ولكنه في قيامته أيضاً ظل مرتبطاً بصحبة جماعة الصيادين الفقراء. إنه ذلك الشخص الذي كان قبلاً ولا يزال يأخذ مكان الازدراء الخارجي؟ فهل نحن مستعدون أن نخرج إليه خارج المحلة حاملين عاره؟

وهكذا تتشابه الامتحانات في أيامنا هذه، فهل يمكننا أن نعطي مالنا من امتيازات، وأن نخرج خارج العالم، وأن نتبع المسيح- في مركز الازدراء والعار من العالم؟ إنها

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بعينها الامتحانات التي وُضعت أمام الشاب. والسؤال موجه لكل منا. فما هي إجابتنا التي سنعطيها؟؟!

إننا نستطيع أن نجيب على هذه الأسئلة بواحدة من اثنتين:

أولاً: قد نتمثل بالشاب الذي قرأنا عنه أنه "مضى حزيناً، فنعود إلى الأشياء الأرضية. إنه لم يتحول قلبه بالغضب على المسيح أو بالكراهية تجاهه. فهو لم يجد خطأ في المسيح، ولكن العالم كان ذا سطوة قوية عليه. مثل ديماس، الذي جاء بعده، وأحب العالم الحاضر.

ثانياً: وقد تكون إجابتنا مثل بطرس والتلاميذ، الذين تركوا كل شيء وتبعوا المسيح (عدد٢٨ من نفس الإصحاح).

كان الشاب الغني يعوزه شيئاً واحداً، يعوزه القلب الواحد المكرس للمسيح، ولذلك مضى حزيناً. أما التلاميذ فمع كل جهلهم وضعفهم وفشلهم إلا أنهم انجذبوا بعواطف المسيح، ولذلك تركوا كل شيء وتبعوه.

ومن ذلك اليوم، بدأنا نرى قصة هذا الشاب تتكرر أمامنا كثيراً جداً. إنها مآسي حقيقية، إذ نتذكر الكثيرين من الشباب الذين بدأوا بداءة حسنة، وكانت أمامهم المشجعات الكثيرة والوداعة الثمينة، ولكن أين هم الآن؟ فبدلاً من الامتيازات التي تَحلّوا بها مثل الجدية والإخلاص والغيرة، نراهم وقد تحولوا، إن لم يكن إلى العالم المتسع، فإلى تلك المعتقدات المسيحية المشوشة (بأمور العالم). أما السبب فواضح جداً. إذ أنه كان يعوزهم شيء واحد- وهو تفرد القلب بالتكريس للمسيح. فيجعل المسيح هو الغرض الوحيد والكامل للحياة. ولكنهم وضعوا قبل المسيح، ربما أنفسهم، أو فائدة القديسين، أو ربما الخدمة. وكانت النتيجة أنهم تحولوا إلى الأشياء الأرضية. إننا إذا أحببنا النفوس، أو أحببنا القديسين، أو رغبنا في الخدمة، فكل هذا لا يمنحنا قوة كافية تحفظ أقدامنا في الطريق الضيق. بل إن المسيح وحده فقط هو الذي يحفظ خارجاً في مكان العار لنتبعه في طريق الآلام.

٢- الحاجة إلى واحد

(لوقا١٠: ٣٨-٤٢)

نأتي الآن إلى ذلك المشهد المبارك في بيت عنيا، فنجد امرأتين تقيتين، كانت إحداهما في حاجة إلى هذا الشيء الواحد الذي أعوزها، بينما اختارت الأخرى ذلك النصيب الصالح.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فمرثا، مثل ذلك الرجل الغني الوارد في مرقس ١٠، اتصفت بمميزات كثيرة. ويبدو أن بيت عنيا مرتبط باسمها، ولقد فتحت بيتها طوعاً لقبول رب المجد فيه. ولذلك فهي لم تكتف بحُسن ضيافتها بل كانت خادمة نشيطة للرب. كانت هناك أمور كثيرة تُعمل للرب في هذا العالم. وكانت مرثا مشغولة بهذه الأمور. ورغماً عن كل هذه المميزات، إلا أنها أغفلت هذا "الشيء الواحد"، وكان عليها أن تتعلم أن ذلك "الشيء الواحد" الذي أغفلته، هو بعينه الذي كانت في حاجة إليه. والنتيجة أنها أرهقت بالخدمة، وتضايقت من أختها، ثم تذمرت واشتكت للرب. حقاً إن مرثا تمثل طائفة ضخمة من المسيحيين، وهم لا يشعرون بأنفسهم، فجُل غرضهم وغاية ما يصبون إليه هو تتميم خدمتهم الخاصة أكثر من مشغوليتهم بالرب نفسه. وهم يريدون أن يستخدموا الجميع كمساعدين لهم في خدمتهم الخاصة. ويشعرون بالضيق إذا تُرِكوا بمفردهم. إنه يعوزهم شيء واحد. إنهم مهتمون ومرتبكون بأمور كثيرة.

إنه أمر صحيح فعلاً ويُسعدنا بأن تكون بيوتنا ووسائلنا كلها للرب ولمجده، وأن نكون مشغولين بخدمته المباركة غير أن هذا المشهد يُحذرنا ويُذكرنا فمن المحتمل أن تأخذ هذه الأنشطة الأولوية في تفكيرنا وفي عواطفنا، أكثر من الرب نفسه. فإذا كان الأمر كذلك، فإنه يعوزنا "شيء واحد" نحتاجه، وهو القلب المتفرد المكرس الذي يجعل المسيح قبل أي خدمة.

أما مريم، فنقرأ أنها اختارت النصيب الصالح، وأن هذا النصيب الصالح هو نصيب مع المسيح. كان المسيح لها هو غرضها الأسمى قبل كل شيء آخر، سواء كانت ممتلكات أو خدمة أو حتى أختها. وإذ صار لها المسيح غرضها الوحيد فقد وَدّعَت القلق والاهتمام والاضطراب الذي كان يميز أختها المتقدة بالحماس. وبينما كانت مرثا مُرهقة بخدمة كثيرة كانت مريم جالسة في هدوء عند قدمي يسوع. وعندما أتت مرثا بشكواها إلى الرب كانت مريم جالسة عند قدميه تسمع كلامه.

ونحن لم نُترك لإطلاق الأحكام الروحية بناءً على الاختلافات بين الأختين، فالكتاب يُخبرنا صراحة بأن الرب وبخ مرثا ولكنه مدح مريم.

وإذا جعلت مريم الرب غرضها الفريد، فإنها اختارت النصيب الصالح الذي يُنـزع منها. أيها الأحباء إننا سنترك ممتلكاتنا الأرضية سريعاً جداً، وبعد قليل ستنتهي خدمتنا وأتعابنا ولكن سيبقى المسيح إلى أبد الآبدين هو غرضنا ونصيب نفوسنا الأسمى. إن مريم اختارت نصيبه الأبدي في هذا الزمان، وجعلته غرضها السامي الوحيد، وفوق الكل اختارت أن تجلس في رفقته. فإن كانت الأشياء الزمنية ستنتهي فإن هذا النصيب لن ينتهي. ولهذا فإنها كما اختارت أن تكون معه في هذا الزمان، كذلك أيضاً تكون معه طول الأبدية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ولكن هل هذا الاختيار الأفضل- الشيء الواحد الذي نحتاجه- كان يعني أن مريم أهملت خدمة الرب؟ إن الكتاب المقدس لا يوبخ فقط مثل هذا الفكر ولكنه يرينا بوضوح أنها لم تخدم الرب فحسب، بل تميزت خدمتها بمصادقة الرب لها بطريقة فريدة، فاقت كل خدمة سبقتها أو حتى ذلك الوقت. قال الرب هنا "مريم اختارت النصيب الصالح". ولكن في المشهد الجميل الذي نراه في متى٢٦ يقول الرب "إنها قد عملت بي عملاً حسناً". فالتي اختارت النصيب الصالح، في الوقت المعين عملت العمل الحسن.

لقد منح الرب تقديره بأعلى الدرجات لهذا العمل الحسن، حتى أنه قال "حيثما يُكرز بهذا الإنجيل في كل العالم يُخبَر أيضاً بما فعلته هذه تذكاراً لها" (متى٢٦: ١-١٣).

فلنتذكر أيها الأحباء أن "النصيب الصالح" يجب أن يسبق دائماً "العمل الحسن". فعندما يكون المسيح غرضنا الوحيد فإن الخدمة والأشياء الأخرى ستتخذ مكانها الصحيح.

٣- أفعل شيئاً واحداً

(فيلبي٣: ١٣)

وإذ نعود الآن إلى الإصحاح الثالث من الرسالة إلى فيلبي، فإننا نجد أن الرسول هو الوحيد بين الكثيرين الذي أمكنه أن يجيب عن الثلاثة امتحانات التي وضعها الرب أمام الشاب الغني. فقد أعطى ممتلكاته الأرضية، وحمل الصليب، وتبع المسيح.

أولاً نسأل ما هي تلك الممتلكات التي أعطاها؟ لقد تميز بولس مثل الشاب الغني، بسجايا إنسانية وإمكانيات عالمية ليست قليلة. كان له امتياز المولد، وكان متمتعاً بحقوق المواطنة الرومانية كاملة، ولم يكن من مدينة دنيئة، وكان على درجة عالية من التعليم، كما كان متوقد الحماس في عقيدته، أما من جهة الناموس فبلا لوم.

كل هذه الظروف والإمكانيات تبلورت معاً لتُعطيه مكانة شهيرة في هذا العالم. ولكن جاءه اليوم مثل الرجل الغني- ليُمتحن أمام المسيح. تُرى هل يعطي كل ما ناله من امتيازات كإنسان في العالم- وكل الأشياء التي جعلت من بولس شيئاً- لكي يجعل من المسيح كل شيء في حياته؟ ولنتذكر جيداً أنه لا الشاب الغني ولا بولس طُلب منهما ترك الأشياء المُخزية. وبالتأكيد فإننا لا نقدر أن نتبع المسيح ونستمر في الأمور المخجلة التي عملناها خفية. إن الأشياء التي تُسرنا جداً ونفتخر بها هي التي نتركها خلفنا. فالامتحان أمامنا هو هل يمكن أن نطرح خلفنا الامتيازات العالمية والغيرة الإنسانية وصفة عدم الملامة، وامتيازات المحتد (أو المولد)، والشهرة الدينية، ليصبح المسيح- بدلاً من الذات- هو الغرض الوحيد للحياة؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فبدلاً من رجوع بولس حزيناً- كما فعل الشاب الغني لأنه كان ذا أموال كثيرة- فإنه نسي "ما هو وراء لكي يربح المسيح. إنه رأى مجد المسيح كما رأى المسيح في المجد. عندما التقى الشاب الغني بالمسيح، فبدلاً من أن يرى معجزاته العجيبة، فإنه رأى فيه مجرد مُعلّم صالح، فلم يرَ مجد المسيح. وهذا هو الاختلاف الكبير بين هذين الشابين. إن بولس رأى مجد المسيح ووصل إلى نتيجة فورية أن كل مجد العالم- وكل الأشياء التي تحصّل عليها واكتسبها كإنسان في الجسد- هي خسارة لأجل المسيح. إنه لم يستخف بالامتيازات الطبيعية، بل كان بالعكس يُقدّرها، وبالمقارنة بمجد المسيح حسب أنها نفاية، ووجد أنها خُسفت أمام فضل امتياز معرفة المسيح ربه.

وثانياً إنه لم يكتف بأن أعطى، ولكنه حمل الصليب، وهذه هي الحقيقة التي نجدها عنه. كان جل رغبته الوحيدة، وهو أن يكون "مُتشبّهاً بموته"- أي بموت المسيح. وحيث أن المسيح مات عن العالم كذلك يستطيع بولس أن يموت عن العالم. فالصليب بالنسبة لبولس لم يضع فقط نهايته كإنسان في الجسد، ولكنه أنهى إلى الأبد مركزه في هذا العالم الحاضر الشرير.

وثالثاً: فبعد أن أعطى كل امتيازاته الأرضية كغرض لحياته، وحمله الصليب الذي أنهى ارتباطه بالعالم، فإنه تبع المسيح كالغرض الوحيد لحياته. لقد أدار كتفه لكل ديانة أرضية وخرج إلى المسيح خارج المحلة حاملاً عاره. ولذلك كان المسيح غرضه الوحيد، فأمكنه أن يقول في رسالة فيلبي "لي الحياة هي المسيح" (١: ٢١)، "لكي أربح المسيح"(٣: ٨)، و"أوجَد فيه" (٣: ٩)، ولأعرفه (٣: ١٠).

هنا وجدنا إنساناً استطاع أن يقول بكل حق، الشيء الواحد الذي أعوز الشاب الغني، "والشيء الواحد" الذي احتاجت مرثا أن تتعلّمه، هو بعينه الشيء الواحد الذي كان يعمله.

ولذلك كانت حياته هي حياة قلب متفرد مكرّس للمسيح- كان المسيح بالنسبة له هو الغرض الأسمى الوحيد- فلا الخطاة، ولا القديسين، ولا الخدمة- بل المسيح. ونحن لم نجد شخصاً أكثر غيرة للكرازة بإنجيل نعمة الله كخطاة كبولس، ولم نجد من كان له الاهتمام بجميع الكنائس مثل الرسول. ولم نرَ من كان أكثر تعباً في الخدمة، ولكن فوق الكل، وقبل الكل، كان المسيح هو غرضه الوحيد. إنه لم يعوزه الشيء الواحد مثل الشاب الغني، ولم يرتبك بأمور كثيرة مثل مرثا. كان أمامه شيء واحد- أن يتبع المسيح. ولذلك نسي "ما هو وراء" لكي يصل إلى "الأشياء التي كانت من قبل تأسيس العالم".

بل وأكثر من ذلك وضع أمامنا معرفة هذه الأشياء. وأرانا بكل وضوح أن كل الأشياء تتركز في المسيح.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أولاً- المسيح في المجد ٢: ٩و١٠

ثانياً- دعوة الله العليا في المسيح يسوع ٣: ١٤

ثالثاً- مجيء المخلص، الرب يسوع ٣: ٢٠

رابعاً- سنكون على صورة جسد مجده ٣: ٢١

إنه شيء مبارك أن نجعل المسيح غرضنا الوحيد- فإذا جعلنا الخدمة هي غرضنا فإننا سننتهي إلى تمجيد أنفسنا. وإذا جعلنا الخطاة غرضنا فالأكثر احتمالاً أننا سننسحب إلى العالم. وإذا جعلنا القديسين غرضنا فإن قلوبنا ستنكسر. ولكن إذا جعلنا المسيح غرضنا الوحيد والأسمى، فإننا، مثل الرسول، سنحارب المحاربة الحسنة، وسنُكمل السعي، وسنحفظ الإيمان، لأن المسيح وحده سيُمسك أقدامنا في الطريق الضيق، ويقودنا في المصاعب، ويشددنا في مواجهة الأزمات. ولعلنا- بقدر قليل- يمكننا أن نقول مع الرسول "أفعل شيئاً واحداً.. لأجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع "٣: ١٣و١٤".

الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل هي هيئة إرسالية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس.

لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملأ حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكرزة بالإنجيل

 All rights reserved © 2008-2018